

شعرية العواطف في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي.

"Poetics of Emotions in Bassem Khandaqji's Novel "Qinaa Bi-Lawn Al-Samaa

* شيماء لعناني

lanani chima

مخبر المناقشة العربية في الأدب ونقده جامعة سطيف 02.

محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج (الجزائر)

University Mohamed El Bachir El Ibrahimi of Bordj Bou Arreridj (Algérie)

chima.lanani@univ-bba.dz

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/10/30

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

تتناول هذه الدراسة البعد العاطفي لخطابات الهوية في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي (2023) باعتبارها عملاً أدبياً يزاوج بين الشعرية والسرد لمقاومة الإقصاء وإعادة تشكيل الوعي بالذات. تطرح الرواية تجربة نضالية تسعى لاستعادة الكرامة ومواجهة محاولات المحو، مستخدمة العاطفة كأداة تحفيزية تدفع القارئ إلى التفاعل الوجداني مع القضية المطروحة.

لقد حظيت الرواية بأهمية أدبية وفنية جعلتها تصل إلى قائمة المتأهلين لجائزة البوكر العالمية للرواية العربية لعام 2024 وعليه، تستهدف هذه الدراسة البحث عن دور العاطفة في تشكيل خطاب الهوية داخل الرواية، وكيفية توظيف البنية الشعرية لتعزيز التأثير العاطفي للسرد بالإضافة إلى آليات تفاعل القارئ النفسي مع استراتيجيات الرواية في إعادة بناء الوعي بالهوية والمصير. وهو ما يطرح المشكلة الآتية: كيف تجلت المكونات الخطابية والاستهوائية في البنية العميقة للرواية، ومن بين النتائج المتوصل إليها: أن المشروع السردى لباسم خندقجي قد كشف عن عديد الانفعالات الهوية كالخوف، القلق، الأمل، الطمأنينة، الغضب، الانتقام... التي جاءت كهواطف نفسية مرتبطة بذوات الشخصيات السردية.

الكلمات المفتاح: قناع بلون السماء، شعرية، عواطف، رواية، باسم خندقجي.

Abstract :

This study aims to explore the emotional dimension of identity discourse in Bassem Khandaqji's 2023 novel "Qinaa Bi-Lawn Al-Samaa", considering it a literary work that interweaves poetics and narrative to resist exclusion and reconfigure self-awareness. The novel presents a struggle to restore dignity and confront attempts at

erasure, employing emotion as a motivational tool that encourages readers to engage empathetically with the central cause.

The novel's literary and artistic significance earned it a place on the shortlist for the 2024 International Prize for Arabic Fiction (the Arabic Booker Prize). Accordingly, this study seeks to examine the role of emotion in shaping identity discourse within the novel, the ways in which poetic structures enhance the emotional resonance of the narrative, and the mechanisms through which readers psychologically interact with the novel's strategies for reconstructing awareness of identity and destiny.

This raises the following problem statement is: How are discursive and affective components manifested in the novel's deep structure? Among the results reached is that Bassem Khandaqji's narrative project reveals a range of identity-related emotions, including fear, anxiety, hope, reassurance, anger, revenge, and admiration, which emerge as psychological states tied to the inner lives of the narrative characters.

Keywords: Qinaa Bi-Lawn Al-Samaa, poetics, emotions, novel, Bassem Khandaqji.



1. المقدمة:

تميز النقد الأدبي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بإعادة النظر في الأدوات التحليلية ومراجعة طرق التعامل مع الخطابات الأدبية، إذ ظهرت مجموعة من المناهج النقدية المعاصرة التي تعنى بالبحث عن آليات اشتغال المعنى داخل النص الأدبي.

تقدم النظرية السيميائية رؤيةً منهجيةً مختلفةً عن التصورات السابقة. فإلى جانب اهتمامها بما هو لغوي، وانفتاحها على العلامات غير اللغوية، من إشارات المرور إشارات الصم والبكم والرموز لتنتقل من نظرية العامل إلى دراسة البعد الانفعالي، إذ يشمل مجال اهتمامها في فرعها المستحدث البحث في الجوانب النفسية المتحركة في سلوكيات الأفراد، من انفعالات Emotions وعواطف، معيدة الاعتبار للجوانب الداخلية والجهاز النفسي للإنسان، باعتباره جزءاً مهماً في بناء واستيعاب المعنى النصي.

جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ " سيمياء الأهواء في رواية قناع بلون الساء لباسم خندقجي " للإجابة عن الإشكالية الآتية :

- كيف كان تجلي سيمياء الأهواء في رواية قناع بلون الساء؟

- ماهي أهم الانفعالات الهوائية الموجودة في رواية قناع بلون الساء؟

- هل استفادت الرواية من تقنيات الكتابة المعاصرة؟

يسعى هذا المقال إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- رؤية الواقع الفلسطيني المأزوم عن قرب من خلال كتابات الأسرى الفلسطينيين.

- تطبيق الآليات الإجرائية التي تقدمها سيمياء الأهواء.

- مقارنة تمثيلات هوى الخوف دلاليا وسياقيا ضمن الفضاء النصي الداخلي.

ولتحقيق هذه الأهداف، تم التطرق إلى: تعريف الهوى لغة واصطلاحاً، سيمياء الأهواء عند غريباس وفوتتاني نظرياً، أما إجرائياً فقد تمت معالجة سيمياء العواطف في رواية قناع بلون الساء من خلال التمثيل القاموسي والمعجمي، التمثيلات الدلالية (هوى الخوف/ هوى الطمأنينة) الخطاطة الاستهوائية، البرنامج السردي، البرامج الاستهوائية، البنية العالمية والمربع السيميائي.

2. تعريف الهوى:

1.2. لغة:

يرد مصطلح الهوى في معجم مقاييس اللغة بمعنى الميل والرغبة التي تسيطر على النفس البشرية. يقول: "وأما الهوى هوى النفس، فمن المتبعين جميعاً، لأنه خالٍ ويهوى بصاحبه فيما لا ينبغي، قال تعالى في وصف نبيه عليه السلام: (وما ينطق عن الهوى)، يقال منه هويت أهوى هوى."¹

يؤكد معجم الوسيط هو الآخر على الدلالة الأولى الواردة في معجم مقاييس اللغة ويضيف إليها: "الهوى: الميل والعشق ويكون في الخير والشر وميل النفس إلى الشهوة والنفس المائلة إلى الشهوة... وفيه لا تتبع الهوى والمهوى (ج) أهواء وفي تنزيل العزيز (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا)."² فالملاحظ أن لفظة الهوى قد ارتبطت بالشهوة وميول النفس سواءً كانت سلبية أم إيجابية؛ وعليه فالهوى ناتج عن دوافع نفسية داخلية للإنسان الذي تنزع داخله وتقبل نحو عواطف معينة كالحب، الكره، الغيرة، الحماس، الخوف، الأمل، القلق، الاحتقار وغيرها من المشاعر الداخلية.

2.2. اصطلاحاً:

يرد المصطلح في العديد من العلوم والمعارف. فالهوى موجودٌ في الفلسفة، الأدب، علم النفس فضلاً عن استعماله في التعاملات اليومية. وعليه، فإن تحديد تعريف دقيق للمصطلح ليس بالأمر الهين، لتعدد معانيه من جهة، واختلاف مجالاته واستعمالاته من جهة أخرى.

يرتبط مصطلح الهوى في السيمياء بالجوانب الداخلية للإنسان فهو: "عاطفة تمت على حساب غيرها من العواطف والهوى يجعلنا نرى كل شيء من خلاله... وهو عاطفة لأنه انفعال طويل الأمد ثم هو هيجان لتأثيره العنيف والشديد بل أكثر من ذلك؛ هو ظاهرة نفسية كلية تدل على عالم الشخصية بأكملها كهوى البخل والحب."³

يرد مصطلح الهوى في الشعر العربي بمعنى الصبابة والعشق والهيام، إذ كثيراً ما يُلاحظ أنّ الشعراء قد عبروا عن بوحهم الداخلي من عواطف وأحاسيس، باستعمال مصطلح الهوى، الذي تم توظيفه كمرادف يقابل انفعالات نفسية، كالحب. يقول:

غَدَ يَرَى مِنَ اللَّائِي يَلْمُنَ عَلَى الْهَوَى أَمَّا فِي الْهَوَى لَوْ دُقْنَا طُعْمَ الْهَوَى غُذِرَ.
وَمُنْكَرُهُ مَنْ عَانَيْتُ مِنْ شُجُونِهِ وَلَا عَجَبُ مَا عَانَيْتُهُ وَلَا تُكْرُ⁴.

نجد بالعودة إلى الفكر الفلسفي اليوناني، أن "أفلاطون" Platon قد تطرق إلى مصطلح الهوى، إذ اعتبره: "جنون إلهي لا محمود ولا مدموم، أي لا يحمَد في ذاته، ولا يذم في ذاته."⁵ فهذا الجنون يرتبط بالهدف الذي تسعى إليه الذات المستهوية، وعلى هذا الأساس يتم الحكم عليه إما بالحمد أو الذم. وعليه، فالهوى بحاجة إلى فكر يحدده ويوجه مساراته، وبهذا تكون: "العلاقة بين العواطف والعقل أو الفكر متبادلة الأثر كل منها يحتاج إلى صاحبه...ولا يمكن أن تتحقق سعادة الفرد والمجتمع إلا إذا توفرت الطاقتان معاً."⁶ وهو ما يؤسس لرؤية تكاملية بين قطبين متكاملين للذات الإنسانية (البعد الانفعالي) و(البعد المعرفي) فسمياء الأهواء لا يمكن أن تفهم خارج إطار النشاط الذهني، فالعواطف ليست مجرد استجابات وجدانية فقط، بل هي بنية دلالية تتشكل ضمن أنساق لسانية، معرفية واجتماعية.

3. سمياء العواطف عند غريماس وفونتاني:

إن المتأمل للتطور الإستيمولوجي والكرونولوجي للنظرية السيميائية، يلحظ أنها لم تقتصر على البحث في العلامات اللغوية وغير اللغوية، من إشارات ورموز فحسب، بل افتتحت على الجهاز النفسي والحياة الداخلية للذات، لتؤكد فاعليتها في مقارنة الخطابات فالمعطى النصي تؤطره سلسلة من الحالات الانفعالية المرتبطة بالذات، وهذا ما أكدته كل من أليجيرداس جوليان غريماس (A J greims) وجاك فونتاني (j fontanille) في تسعينيات القرن العشرين في عملها المشترك. "سمياء الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس" "Sémiotique des passions des états de choses aux états d'âme". وعليه، فإن العلاقة بين سمياء العمل وسمياء الأهواء Sémiotique des passions علاقة تكاملية، وهو ما ساه كل من جاك فونتاني وغريماس ب: "الوجود المتجانس للبعد السيميائي وذلك في إطار علاقة الإنسان بالعالم من خلال ما يضطلع به من أفعال للانتقال من حالة الانفصال إلى حالة الاتصال."⁷

تعد مقارنة الخطابات من منظور انفعالي، خطوة أساسية في تطوير القراءات السيميائية للنص الأدبي، إذ تسمح بفهم العلاقة القائمة بين البنية الانفعالية والبنية الدلالية، وفي هذا الإطار، يؤكد محمد الداوي على ضرورة: "تقعيد البعد الانفعالي الذي يهتم بالحالة النفسية، والتدليل على ملاءمته، واستقلاله داخل المسار التوليدي للدلالة، وإعادة بناء الأهواء سيميائياً، ومقارنتها من زاوية تلفظية تعيد النظر في التصور السيميائي للخطاب والتخطيب."⁸ من خلال هذا التصور، تصبح الانفعالات والعواطف مكونات دلالية ومعرفية تتفاعل مع العناصر الخطائية ما يبين دور الأهواء في ضبط المسار التأويلي للنص.

يؤكد أليجيرداس جوليان غريماس في كتابه "في المعنى" Du sens على تأثير الجانب النفسي في تشكيل البرامج الحكائية، خصوصاً على مستوى الذات الفاعلة Sujet Opérateur، التي تتحكم فيها الأحاسيس والعواطف La passion الأمر الذي جعله يبحث في هوى الغضب La colère باعتباره معطًى هويي متعب للذات الحاملة له، ويتشكل هذا الهوى وفقاً لثلاث مراحل تتمثل فيما يأتي:

Frustration —————> Mécontentement —————> Agressivité

وهو ما يقابل كلاً من:

الحرمان ← السخط ← العدوانية⁹

نجد بالعودة إلى العالم العربي نجد أن النقاد العرب قد اهتموا بهذا العلم الغربي وذلك على مستوى التنظير من خلال محاولة ترجمة المصطلح والبحث عن مقابل عربي له أما فيما يخص الدراسات العربية في هذا المجال تكاد أن تكون شبه منعدمة ومن بين أهم الاجتهادات في المجال نجد:

سعيد بن كراد: في ترجمة كتاب غريماس وفونتاني، سيمياء الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس. محمد بادي: له مقال في مجلة عالم فكر تطرق فيه إلى ابستمولوجية سيمياء الأهواء مرتكزاتها، خلفياتها ومرجعياتها. يقرن مصطلح سيمياء الأهواء Sémiotique des passions في الوطن العربي بعدة تسميات منها: سيميائية المشاعر، سيميائية المحسوس، سيمياء العواطف كما يقترح خالد بن محمد الجديع مصطلح سيميائية المشاعر كمرادف مناسب لهذا النوع من السيميائيات فيمكن: "أن تدل العبارة كاملة على سيمياء المشاعر وهو المصطلح الذي اقترح إطلاقه على هذا الفرع من المعرفة.¹⁰ ويستخدم في الدراسات النقدية العربية للدلالة على مقاربة البعد الانفعالي ضمن الخطابات الأدبية، أي محاولة فهم النصوص من زاوية نفسية سلوكية.

4. سيمياء الأهواء في رواية قناع بلون الساء:

1.4. سير الأحداث:

رواية قناع بلون الساء هي عمل للكاتب الفلسطيني باسم خندقجي صدرت طبعها الأولى عام 2023 عن دار الآداب ببيروت، وهي منجز روائي حاز على الجائزة العالمية للرواية العربية "جائزة البوكر"؛ إذ تم اختيارها من بين 113 رواية مرشحة لسنة 2024 لتحصل على التصنيف الأول بجدارة واستحقاق كبيرين.

يقدم المؤلف باسم خندقجي على امتداد صفحات الرواية 240 عالماً موازياً للواقع الفلسطيني المعاش، إنها صورة مكثفة عن راهن يعكس إلى حد بعيد أشكال العنصرية، الإبادة، التهجير، الألم، الهوية، الأنا والآخر، الاستلاب، تشظي الذات، التهميش القسري عبر عالم سردي مُتخيل أثب براءة فنية. فما هي الرمزية التي يحملها القناع ولماذا حُدد لونه بلون الساء؟ هل هناك حوارية بينه وبين المتن الداخلي؟

عبر مسارات السرد الداخلي، وإيقاع تراجمي، تظهر شخصية نور مهدي الشهدي، البطل الفاعل في الرواية. إنه شاب فلسطيني لاجئ، يسكن في مخيمات رام الله، أصله من اللد، وهو باحث مختص في الآثار التاريخية، خريج المعهد العالي للآثار الإسلامية، التابع لجامعة القدس. يشتغل على رواية تاريخية عن مريم المجدلية تدور أحداثها في "قرية اللجون" أو مدينة ميسيانو بوليس، المقام عليها "مستوطنة كيبوتس مجدو" المهجرة، رداً على رواية شيفرة دافنشي لنان براون. تساعده ملاحظه الأشكنازية على الدخول إلى مستوطنة "هشاق هعيق"، مع فرقة بحث علمية للتنقيب عن الآثار التاريخية، منتحلاً شخصية "أور شايرا"، بعد أن وجد بطاقة هوية زرقاء ليهودي في معطف جلد اقتناه من سوق الخرداوات.

تكشف الرواية على امتداد الأقسام الثلاثة تصورات "نور الشهدي" الروائي حول رواية التاريخ عن المجدلية من حبكة فنية شخصيات أحداث أماكن تاريخية مسارات زمانية خطط كتابية باعتماد بطاقات صوتية مسجلة عبر هاتفه

المحمول؛ وهي بطاقات تحمل مونولوجات داخلية ورسائل لصديقه "مراد" المعتقل في سجون المحتل الصهيوني إنها اعترافات لنور الفلسطيني صاحب الأرض دون قناع أو هوية زرقاء مزورة "لأور شايرا"، بوح عن تطلعاته وآماله ماضيه حيث تترعرع نازحا ثم لاجئا عن عائلة مهدي الشهدي سمية نورا خديجة أم عدلي عن سماء أبالا نيكول وإيميلي ناتان خودروفسكي وكذلك عن الشيخ مرسي.

تعرض الرواية ضمن فضاءها الحكائي أحداثاً تاريخية ومعالم أثرية من مثل كهف البالمخ الذي يعد من بين أشهر المعالم التاريخية، مقام إبراهيم مسك العطار مريد المجدلية السري وحفيد سمعان الأعرج، جبل الزيتون، جبل الكرمل، واقعة استولاء الصليبيون على اللجون واستعادتها من قبل صلاح الدين الأيوبي عام 1187، هزيمة ألمانيا أمام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، نكبة 1948 إلى جانب الاستعانة ببعض الكتب الدينية من مثل الأنجيل الأربعة: يوحنا، لوقا، متى، ومرقس مع بعض الأفكار الغنوصية والكثير من المعتقدات الدينية المسيحية ما أمكن القول أن الرواية عبارة عن توليفة تجمع ما بين الأدبي السردي التاريخي الديني السياسي علم الآثار

تنتهي أحداث الرواية بنزع "نور مهدي الشهدي" قناع "أور شايرا" والقضاء على تلك الشخصية اليهودية التي تلبسته خلال رحلة البحث عن قرية مريم المجدلية ليتخلّى وبشكل نهائي عن روايته التاريخية لأنه وببساطة أدرك أنه لا قيمة لها أمام سؤال هويته فالحقيقة الوحيدة التي انتهى إليها أنّ سماء إسمايل هي هويته وماله الذي لا مفر منه نعم، إنها هويته العربية الفلسطينية، سماء أرضه واتماؤه.

2.4. التمازج القاموسي والمعجمي:

يُسلطُ الضوء في هذا المستوى على أبرز الوحدات المعجمية المشكّلة للتيّات الاستهوائية للذات ضمن رواية "قناع بلون السماء"، وعلى هذا الأساس سيتم التعرف على ملفوظ الخوف في بعده المعجمي. تدل مادة (خ وف) على الذعر، والفرع، والمصدر منه: خاف يُخَوِّفُ تخويفاً يقول تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والثمرات وبشر الصابرين) البقرة 155 ويقول: (فإذا جاءهم الخوف رأيتهم ينظرون إليك) الأحزاب 19.

يتضح من خلال ما سبق، أنّ كلمة خوف تنطوي على أهواء أخرى القلق، الفرع، التوجس، الهلع، الخشية وتبين الصورة بوضوح عند مقابلتها بنقيضتها، "الطمأنينة" المشتقة من الفعل: طمئن وطمأنينة النفس راحتها وسكونها بضم الطاء وفتح الميم، مصدر اطمأن، وهو الاستقرار والسكون.¹¹

تندرج تحت هذه الليسكيمات الكبرى مظهرات توليدية صغرى تتمثل في:

1. المظهرات الدلالية الصغرى لهوى الخوف.	2. المظهرات الدلالية الصغرى لهوى الطمأنينة.
3. الفرع، الهلع، الكراهية، الانتقام الصراع، الاختفاء	4. الأمان، التسامح، الحب، التعايش، الحرية

يبرز الجدول الموضح أعلاه الأهواء الصغرى المندرجة تحت هوى الخوف المؤسس على التراجع الانسحاب الذي جعل الفاعل الاجرائي نور الشهدي يرتدي قناعاً صهيونياً أزرقاً لمطاوعة شغفٍ روائي تاريخي يقول: "أشعر فقط بالملاحقة بالخوف بالضعف بالتناقض بالالتباس".¹²

يتضح مما سبق أن هوى الخوف يندرج ضمن قائمة الأهواء الانفعالية القائمة على الانغلاق والانسحاب، أما هوى الطمأنينة فيصنّف ضمن الأهواء القائمة على الانفتاح والحرية.

3.4. التظاهرات الدلالية:

يكشف الخطاب الروائي "قناع بلون الساء" عن وجود عدّة وحدات استهوائية داخلية، اذ شكلت في مجملها فضاءً لتنازع الرغبات وتناقضها. ومن أهم هذه الدلالات ما يأتي:

1.3.4. هوى الخوف:

يتضح من خلال الحقل المعجمي لتيمة الخوف وجود مجموعة من الليكسيات المشكلة لها، والتي تكشف عن التظاهرات المختلفة لهوى الخوف.

يلحظ على مستوى التلقي والقراءة أن رواية قناع بلون الساء لا تكشف صراحة عن لكسيم الخوف تتمثل واضح، وإنما يحضر البعد الانفعالي في الخطاب من خلاله، ويتشاكل معجمياً مع ملفوظات أخرى تمّ ذكرها في الجدول السابق.

تردّ صورة الخوف في الخطاب الروائي من خلال سياقات نصية مختلفة، ليتولّد عنها مجموعة من الدلالات النصية الصريحة والضمنية، منها:

أ. معجمة تيمة الترويع:

تظهر هذه التيمة من خلال توظيف بعض الأحداث التاريخية، من مثل نكبة 1948، وما تبعها من اغتصاب للحقوق، تهجير قسري، واعتقال يقول:

- "الاحتلال يعتدي على المزارعين في الأغوار الشمالية"¹³.

- "تساعد التوتر في القدس بعد إعلان بلدية الاحتلال نيتها في إخلاء العائلات المقدسية من بيوتها في حي الشيخ الجراح"¹⁴

- "حيث تقفون فلا يوجد سوى نكبة شعب هجر من أرضه"¹⁵

- "هجمة الاحتلال الاستيطاني تتصاعد على أهالي الشيخ جراح."¹⁶

إنها صورة مختلفة لهوى الخوف الذي ظهر في صفحات الرواية بسياقات متعددة، وهو: "استجابة عاطفية تنشأ كرد فعل تجاه فعل أو خطر محتمل."¹⁷

إنّ هذا الترويع لا يقتصر على الوقائع التاريخية فقط، بل يُسجل كنجربة شخصية وذاكرة جمعية، حيث يُستحضر الماضي في شكل استرجاعات زمنية، إذ تنعكس على نفسية الذوات لتخلق فضاءً نفسياً مشحوناً بالتوترات.

ب. معجمة تيمة التردد:

تظهر تيمة التردد والارتباك في الرواية من خلال الخطاب المونولوجي الداخلي لشخصية البطل، الذي تردد في انتحال هوية صهيونية. يقول: "ماذا لو اكتشف هو أمري وعثر على متلبسا بظله وهويته في شارع ملعون الاقدر في تل أبيب أو القدس"¹⁸ تردد دام قرابة الثلاث سنوات، من حصوله على بطاقة الهوية الصهيونية.

ج. هوى الكراهية والعنصرية:

يكشف الخطاب الروائي عن وجود تيمة الكراهية والعداوة التي يضمها اليهود للعرب عامة، والشعب الفلسطيني بصفة خاصة. وهذا ما يتضح من خلال المحكي السرد الداخلي، الذي يكشف عن حقد وكراهية أيا لا لسماء إسمايل دون سبب واضح. يقول:

- "حسنًا لقد طفح الكيل هذه الفتاة معبأة بحقد سام" ¹⁹

- "ألا تسأمين أنت من ترديد الترهات أمام الطلبة الأجانب دائماً أتتهم الضحايا ونحن الجالدين." ²⁰

وهو صراع تاريخي سياسي مرتبط بالنزاع المستمر على الأراضي الفلسطينية، ما أدى إلى وجود مشاعر عداة متبادل بين اليهود والعرب.

2.3.4. هوى الطمأنينة:

تظهر هذه التيمة بشكل قليل مقارنة بالتيمة الأولى "الخوف"؛ وهي تيمة تظهر بشكل واضح في نهاية الرواية وتتشكل معجمياً مع تيمات أخرى كالحب الراحة والتضحية... وهذا ما يتضح من خلال الشاهد التالي:

- "انترعت قناعي لأعلمها بأسرار حكاي... أنا أشعر بالراحة بعد اعترافي هذا." ²¹ إنها مشاعر الإعجاب الحب الذي جعل نور الشهدي يطمئن إلى سماء إسمايل ليكشف لها عن هويته الحقيقية.

4. الخطأ الاستهوائية:

يشكل الفاعل الاستهوائي نور مهدي الشهدي في الخطاب الروائي قناع بلون السماء مسارا توليديا هوويا، وهو ما يطلق عليه بالخطأ الاستهوائية، التي تضبط سلسلة التحولات الفصلية والوصلية التي مرّ بها البطل أثناء تحقيق موضوع القيمة.

نجد بالعودة إلى خطاب السرد، أن الرواية "قناع بلون السماء" قد اشتملت على عدة برامج سردية فعلية واستهوائية، التي تتضح من خلال الشخصيات الاجرائية والأحداث العامة للرواية؛ إذ تنطلق أحداث الرواية من:

1.4.4. الوضع البدئي: اذ افتتح الكاتب روايته بالبطاقة الصوتية رقم: 12: الاثنين 19 نيسان 2021 فجر السابع من رمضان وهي البطاقة الأولى لنور الشهدي ضمن الرواية، تحوي تصورات وخططه حول كتابة رواية تاريخية عن مريم المجدلية، يتصور فيها أبطال روايته وما يجري من أحداث. يقول: "كيف سأكتب الرواية؟ وما الأسلوب الذي سأعتمده؟ وما عنوانها؟ هل سأتمكن من نشرها في هذه البلاد عديمة الأدب والنشر؟ أما الأبطال، فإن البطل الرئيس في الزمن الحاضر سيكون أستاذًا جامعياً باحثاً في الآثار، يخوض الروائي سلسلة من المغامرات والأحداث وفي المسار الزمني التاريخي، ستكون المجدلية بطلة الرئيسة، وإلى جانبها عدد من التلاميذ والرسل." ²² وعليه، فإن ما يميز الوضع البدئي للرواية، وجود بعض التفاصيل البسيطة عن شخصية تدعى نور مهدي الشهدي، يعيش في مخيم للاجئين في رام الله يحاول بناء تصورات وخططه لعمل رواية تاريخية.

2.4.4. التحول: يتحول المسار السرد في الرواية بعثور نور الشهدي على بطاقة هوية ليهودي يدعى "أور شايرا"، في معطف جلدي اقتناه من سوق الخرداوات، ليقرر بعد مضي ثلاث سنوات انتحال هذه الشخصية للوصول إلى المواقع الأثرية والآثار التاريخية داخل مستوطنة "هشاق هعيق" و"كيبوتس مجدو". يقول: "وقعت عيناه... على معطف

جلدي... بجانب مجموعة من الملابس المستعملة... انسحب من السوق مرتديا المعطف... وما إن وضع يده على جيبه الداخلي حتى التقطت أصابعه... بطاقة هوية صهيونية زرقاء... فتحها مطالعا على بيانات صاحبها.
- الاسم: أور. اسم العائلة: شايرا. اسم الأم: ليغال. اسم الأب: نيتسان. تاريخ الميلاد: 15-8-1985. مكان الإقامة: تل أبيب²³.

يتحكم هوى الضعف والعجز في سير الأحداث ضمن هذا المسار، الذي انتهى إلى انتقال نور لشخصية أور الصهيوني.

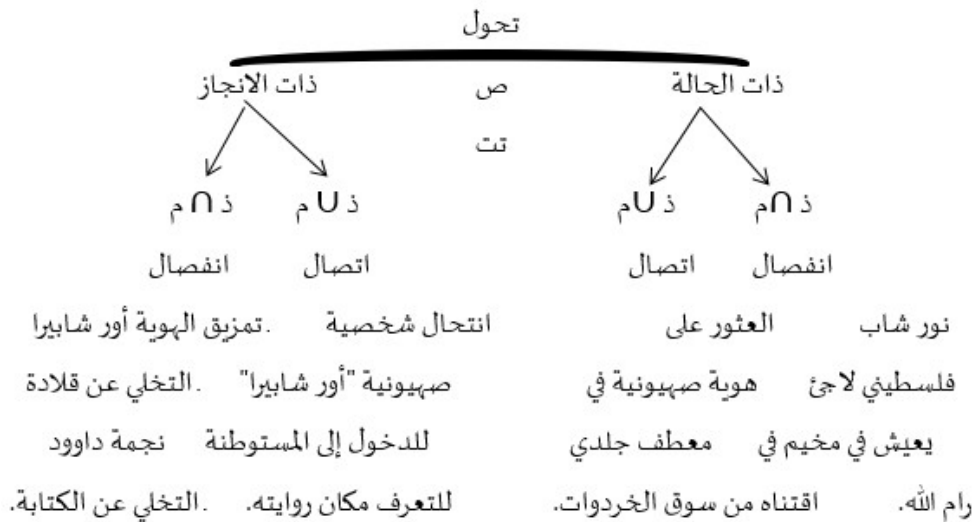
3.4.4. التعقيد: تتصاعد وتيرة الأحداث événements لتصل حدّ التعقيد، الذي ظهر من خلال صراعات نور النفسية الداخلية بين هويته الفلسطينية وهوية الآخر الصهيوني المحتل. هل كان ذلك أولى الخطوات نحو تطبيعها؟ يقول في رسالة صوتية لصديقه مراد: "لقد أصبت اليوم بصدمة قاسية، إنني لا أهدأ الآن فحسب، بل أنوح بعد أن قبضت على تلك الفتاة متلبساً بقناعي، جلست بجانبها كاسيا عري وجهي بوجه آخر نكبي... هكذا عرفت عن نفسها واسمها... ساء إسماعيل... لم تقل إنها من إسرائيل أو عربية إسرائيلية".²⁴ إنه الصراع النفسي الداخلي، الذي أحدث تعقيدا في مسارات الحكى السردية. إنه هوى الخوف، ذلك الشعور الذي سيطر على "نور مهدي الشهدي" أثناء التقائه ب "ساء إسماعيل"، التي باتت تشكل خطرا على وجوده داخل المستوطنة.

4.4.4. الحل: يأتي الحل بمواجهة نور لحقيقته مع نفسه أولا، ثم مع ساء ثانيا، إذ قرر مواجهتها بحقيقة هويته العربية الفلسطينية. يقول: "ساء أنا لست يهودي؛ أنا عربي مثلك... لاجئ وأسكن مخيماً في رام الله... أصلي من اللد... أنا اسمي نور. نور مهدي الشهدي ولست أور شايرا... أنا أكتب رواية تاريخية عن مريم المجدلية وبيئة الرواية هنا في هذا السهل... ولا يمكنني الوصول إلى هنا بجرية مستخدما هوية فلسطينية... أيها المغفل أنا أنتظر عمرا بأكمله من أجل الخلاص من هذه الهوية... وأما أنت فقد خسرت عمرك كله لترتدي هذا القناع".²⁵ نعم إنها لعنة القناع الأزرق الذي تلبسته مُتتكرًا لأصله، هويته وانتمائه، فتحول إلى نسخة أخرى من ذاته، نسخة عربية يهودية مستعارة لا تشبهه.

5.4.4. الوضع النهائي: يتخلى نور الشهدي في الوضع النهائي situation finale للرواية عن قناع أور شايرا وروايته مريم المجدلية. يقول: "ينتزع قلادة نجمة داوود من عنقه، يلقيها بعيدا، ينتشل بطاقة الهوية المزورة من جيبه هوية أور شايرا... ثم يمزقها بعنف... يخرج هاتفه من جيبه يعيد برمجته إلى اللغة العربية".²⁶
نوضح ما تمت معالجته من خلال الترسمة السيميائية الآتية:

ذ: نور مهدي الشهدي.

الموضوع: كتابة رواية تاريخية عن مريم المجدلية.



4. 5. البرامج الاستهوائية:

تقوم البرامج الاستهوائية على عدة خطوات تمثل في:

- التطبيع الاستهوائي.
- التأهيل الاستهوائي.
- الإنجاز الاستهوائي.
- التقويم الاستهوائي.²⁷

نرصد انطلاقا من هذه المخططات، أبرز البرامج الهوية الموجودة في رواية "قناع بلون الساء"، وتتمثل أساسا في برنامجين اثنين، وهما:

4. 1. 5. برنامج هوى الخوف:

تظهر عاطفة الخوف من خلال شخصية نور مهدي الشهدي، الذي سيطرت عليه مشاعر الضعف الفزع: "أشعر فقط بالملاحقة بالخوف.. بالضعف. بالتناقض.. بالتباس.. كل هذا هو ما يجعلني أعتقد للحظة بمعجزة ما قد تخلفني مما أنا فيه من عجز."²⁸ وهو شعور طبيعي، ناجم عن الإحساس بالخطر والتهديد المستمر الذي يعيشه الفلسطينيون منذ عام 1948م.

الاكتشاف الشعوري: يكشف الفاعل الاجرائي "نور" في هذا البرنامج السردى عن انفعالاته ومخاوفه الداخلية من خوف وهواجس نفسية، إذ يلاحظ أن المرسل *destinateur* أو المحفز الذي دفع الذات الفاعلة *sujet* *opérateur* لا تتاح شخصية أخرى تمثلت في تلك الملامح الاشكنازية، التي ميزت نور عن بقية أفراد الخيم. إنها تلك الملامح الاشكنازية اليهودية عيون زرقاء بشرة بيضاء، وشعر أشقر. يقول: "كان على وشك التوقف وتسليم نفسه لقبضتهم، عندما التفت نحوه بعفوية شرطي دقق في وجهه للحظات، ثم حياه بالعبرية...دون أن يشك للحظة أن نور أحد

المصنفين كلاهما أو متواجد بصورة غير شرعية.. وما إن ابتعد قليلا عن الورشة حتى أطلق ساقيه للريح...إنها الملامح. إذن الملامح قناع.²⁹

وعليه، يمكن القول إن العلاقة التي تحكم المحفز الهوي بالذات الفاعلة sujet opérateur عبارة عن علاقة إرسال، تشجيع، وإقناع كما يكشف عن وجود هوى الخوف الذي تحكم في مسار السرد ضمن الرواية.

الاستعداد/ التأهب: تظهر مرحلة الاستعداد النفسي والانفعالي في رواية "قناع بلون الساء" من خلال تجهيز نور مهدي الشهدي داخليا لاتخاذ موقف جاد لمواجهة نفسه أولاً وساء إسماعيل ثانيا حقيقة انتحال شخصية يهودية. فإلى جانب تلك الملامح الأشكنازية، يتقن نور مهدي الشهدي اللغة الانجليزية والعبرية³⁰. يقول: " في البداية كان أكتشافي للملاحي المتمية مع الملامح الأشكنازية. مجرد تسليية. مغامرة.. إلى أن أدركت حين باغتني أنت برسائك المهرية من المعتقل وتلك الكتب الفكرية أن الملامح هوية في عالم غيب وشوّه ملاحي الأصلية."³¹ لكن رغم وضوح ملامحه الاشكنازية، ظل مستعداً لمواجهة أي حدث يكشف كذبتة.

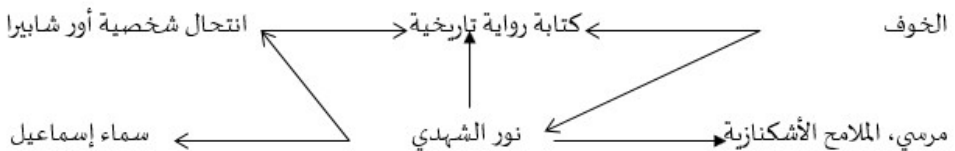
المحور الاستهوائي: تتعرف الذات "نور الشهدي" ضمن هذا المستوى على أسباب الاضطراب الداخلي، فالبطل هنا يدرك ما الذي يحركه داخليا من مخاوف وتطلعات، رضا وطمأنينة. بل يجد: "متعة هائلة بعد نجاحي في تمرير شخصيتي كـ "أور شايرا"...ممارسة هذا الاسم على أرض الواقع الكولونيالي هو انتهاك بحد ذاته للاسم الآخر الذي أنهكني من ولدت من رحم الأزقة."³²

يتضح من خلال ما سبق أن هوى الخوف، قد تجلى وجدانياً، حيث أصبحت الذات الفاعلة "نور الشهدي" على وعي بانجذابها لينتقل الإحساس من المستوى الانفعالي إلى مستوى التمييز الوجداني والإدراك الواعي.

التقويم الأخلاقي: يدخل نور مهدي الشهدي في مرحلة المراجعة الذاتية والوجدانية، فيتضح له أنّ مشاعر الخوف قد سيطرت عليه، بل تحكمت في قراراته ليخلص إلى مواجهة ذاته، بالتخلص من القناع الأزرق الصهيوني والتنازل عن كتابة الرواية التاريخية، التي قضى خمس سنوات في بناء تصورات وخطط عنها، لينجح أخيراً في التخلص من مخاوفه. يقول: " فهو لم يكن خائفاً كما دخل المستوطنة أول مرة، إذ يخرج الآن منها واثقاً مطمئناً بعد أن نال ما كان يشتهي، أو هكذا كان يعتقد."³³

يتضح في ضوء ما سبق، أنّ تجربة البطل الهوي "نور مهدي الشهدي" تمثل نسقاً تعبيرياً ونموذجاً دالاً لتحول الأهواء من الانقياد الشعوري إلى الوعي الأخلاقي. بعد أن كان خاضعاً لهوى الخوف والقلق، خلص إلى وعي أخلاقي ممكنه من استعادة التوازن الداخلي.

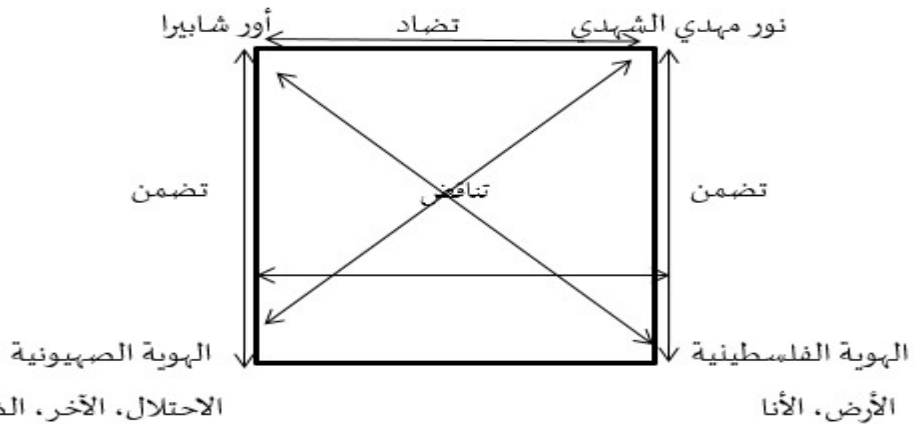
يُوضّح البرنامج الاستهوائي السابق من خلال البنية العاملية الآتية: Structure actantielle:



تعد البنية العاملة من بين أهم المبادئ التي ركز عليها غريماس في مشروعه السيميائي السردية خاصة فيما يتعلق بالفاعلات ودورها في التركيب وتحريك السرد والنصوص السردية³⁴ تبين الترسمة Shéma السيميائية أعلاه أنّ هوى الخوف المرسل destinateur قد دفع الذات sujet المتمثلة في شخصية عالم الآثار نور محدي الشهدي، البطل الفاعل المحرك لآليات الحكاية، إلى انتحال شخصية صهيونية، أور شايرا، أي المرسل إليه destinataire، من أجل تحقيق موضوع القيمة objet de valeur، والمتمثل أساسا في كتابة رواية تاريخية عن مريم المجدلية.

يمثل العامل المساعد Adjuvant للذات في الفاعلة في شخصية الشيخ مرسى، إلى جانب تلك الملامح الأشكنازية التي ميزته عن باقي أفراد الخيم. أما المعارض Opposant فقد مثلته شخصية ساء إسماعيل تلك الفتاة الفلسطينية التي رافقته في البعثة العلمية.

كما يمكن توضيح الكثافة الهوائية في هذه الرواية من خلال المربع السيميائي le carré sémiotique الآتي:



تظهر فاعلية المربع السيميائي في تمثيل في العلاقات والاختلافات النصية المحركة للأحداث، والتحكم في بنية النص العميقة عبر علاقات التضاد، التناقض، التضمن، وشبه التضاد³⁵. وعليه، يشتمل المربع الاستهوائي المدرج على العلاقات الآتية:

- علاقة التضاد: نور في مقابل أور شايرا.
 - علاقة شبه التضاد: الأنا في مقابل الآخر.
 - علاقة التناقض: نور في مقابل الآخر وأور شايرا في مقابل الأنا.
 - علاقة التضمن: نور والأنا في مقابل أور شايرا والآخر.
- يوجد، إلى جانب الوحدة الهوائية الكبرى "الخوف" الموجودة في رواية قناع بلون الساء، بعض الأهواء الثانوية، من مثل هوى الحب، الكراهية، التناقض، الهروب، الاحتقار، الإعجاب، التي جاءت كتنفلات نفسية مرتبطة بذوات الشخصيات السردية.

5. خاتمة:

ختاماً، يمكن القول إنَّ البحث في سيمياء العواطف هو بحث في بنية النص وجدانياً، ومن بين أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث ما يأتي:

- قناع بلون السماء هي رواية للكاتب الفلسطيني باسم خندقي، صدرت طبعها الأولى عام 2023م عن دار الآداب بيروت، وهي عمل روائي حائز على الجائزة العالمية للرواية العربية "جائزة البوكر"، إذ تم اختيارها من بين 113 رواية مرشحة لسنة 2024م لتحصل على التصنيف الأول.

- تتخذ رواية قناع بلون السماء نسقاً حداثياً معاصراً في بناء الأحداث، التي تقوم على تكسير التسلسل الزمني والحداثي، وذلك من خلال استحضار أحداثٍ وأزمنةٍ ماضوية وتوظيفها في عملية الحكيم السردية.

- الرواية عبارة عن توليفة تجمع ما بين الأدبي، السردية، التاريخي، الديني، السياسي، علم الآثار، وهي حافلة بالأحداث التاريخية والعالم القديمة.

- يقدم المؤلف والأسير الفلسطيني باسم خندقي عالماً موازياً للواقع الفلسطيني المعاش. إنها صورة مكثفة عن راهن يعكس إلى حد بعيد أشكال العنصرية، الإبادة، التهجير، الألم، الهوية، الأنا والآخر، الاستلاب، تشظي الذات، التهميش القسري، عبر عالم سردي مُتخيل أثبت براعة فنية عالية.

- يظهر هوى الطمأنينة بشكل واضح في نهاية الرواية، ويتشاكل معجمياً مع تيمات أخرى، كالحب، الراحة، والتضحية. على مستوى التلقي والقراءة، نجد أن رواية قناع بلون السماء، لا تكشف صراحةً عن لكسيم الخوف بتمثيل واضح، وإنما يحضر البعد الانفعالي في الخطاب من خلاله، ويتشاكل معجمياً مع ملفوظات أخرى.

- يشكل الفاعل الاستهوائي نور مهدي الشهدي في الخطاب الروائي قناع بلون السماء مسارا توليديا هووياً، وهو ما يطلق عليه بالخطاطة الاستهوائية، التي تضبط سلسلة التحولات الفصلية والوصلية التي مرّ بها البطل أثناء تحقيق موضوع القيمة.

- يوضح المربع السيميائي التقابل المنطقي بين قيمتين متضادتين، تتمثلان في الخوف، الذي يتضمن الثورة، التمرد، الدعوة إلى التفكير العقلاني والمنطقي، ورفض الاتباعية والتبعية في الرأي والمواقف، في مقابل المجتمع.

هوامش:

1 أبو الحسن أحمد فارس بن زكريا الرازي، 1999، معجم مقاييس اللغة، بيروت - لبنان، منشورات دار الكتب العلمية، المجلد2، باب الهاء والواو، ص592.

2 أحمد حسن الزيات وآخرون، 2004، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، ص1001.

3 آسيا جريوي، 2012، البعد الهوي ودوره في حركة الإنجاز دراسة في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، مجلة الخبر، العدد8، 2012، ص40.

4 أبو فراس الحمداني، 2010، ديوان أبي فراس، بيروت - مكتبة الشروق، ص62.

5 محمد حسن عبد الله، 1980، الحب في التراث العربي، الكويت- عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص171.

- 6 عمر محمد التومي الشيباني، 1982، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ط3، الدار العربية للكتاب، ص169.
- 7 A, J, Greimas et Jacques Fontanille, Avril 1991. Sémiotique des passions (des états de chose aux états d'ame, paris. Editions de seuil, p14.
- 8 محمد الداوي، 2009، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ط1، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع 2025، ص108.
- 9 Voir : A. J. Greimas.1970. Du sens (Essais Sémiotiques). Paris. Edition du seuil, 1970, p 226.
- 10 خالد بن محمد الجديع، 2013، سيميائية الأهواء مصطلح قار...ودلالات مفتوحة، 2025/7/7 من موقع: <http://www.djazirah.com/culture/2013.09.21>
- 11 موقع إلكتروني، دت، معجم المعاني الجامع <http://www.almaany.com>
- 12 باسم خندقجي، 2023، قناع بلون السماء، ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، ص56.
- 13 المصدر نفسه، ص34
- 14 المصدر نفسه، ص35
- 15 المصدر نفسه، ص66
- 16 المصدر نفسه، ص187.
- 17 فريدة ساعي، 2025، سيمياء الأهواء في رواية الحزار لحسن الجندي، مجلة النص، سيدي بالعباس، المجلد12، العدد1، ص402.
- 18 المصدر نفسه، ص62.
- 19 المصدر نفسه، ص192
- 20 المصدر نفسه، ص193.
- 21 المصدر نفسه، ص225.
- 22 المصدر نفسه، ص13/12.
- 23 المصدر نفسه، ص44.
- 24 المصدر نفسه، ص164و165.
- 25 المصدر نفسه ص222، 224، 223.
- 26 المصدر نفسه، ص238.
- 27 جميل حمداوي، 2015، الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، ط1، ص237.
- 28 باسم خندقجي، قناع بلون السماء، ص56.
- 29 المصدر نفسه، ص43، 42.
- 30 المصدر نفسه، ص40.
- 31 المصدر نفسه، ص69
- 32 المصدر نفسه، ص56.
- 33 المصدر نفسه، ص237.
- 34 سميحة صياد، 2020، السيميائية السردية ومشروع غريماس السيميائي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، الوادي، المجلد12، العدد3، ص611.
- 35 سميحة صياد، السيميائية السردية ومشروع غريماس السيميائي، ص609.

7. قائمة المراجع:

1. أبو الحسن أحمد فارس بن زكريا الرازي، 1999، معجم مقاييس اللغة، بيروت - لبنان، منشورات دار الكتب العلمية، المجلد 2.
2. أحمد حسن الزيات وآخرون، 2004، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية.
3. آسيا جريوي، 2012، البعد الهوي ودوره في حركة الإنجاز دراسة في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج، مجلة المخبر، العدد 8، 2012.
4. أبو فراس الحمداني، 2010، ديوان أبي فراس، بيروت - مكتبة الشروق.
5. محمد حسن عبد الله، 1980، الحب في التراث العربي، الكويت - عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
6. عمر محمد التومي الشيباني، 1982، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ط3، الدار العربية للكتاب.
7. A, J, Greimas et Jacques Fontanille, Avril 1991. Sémiotique des passions (des états de chose aux états d'ame, paris. Editions de seuil.
8. A. J. Greimas.1970. Du sens (Essais Sémiotiques). Paris. Edition du seuil, 1970.
9. خالد بن محمد الجديع، 2013، سيميائية الأهواء مصطلح قار... ودلالات مفتوحة، 2025/7/7 من موقع:
10. Http ://www.djazirah.com/culture/2013.09.21.
11. موقع إلكتروني، دت، معجم المعاني الجامع <http://www.almaany.com>
12. باسم خندقجي، 2023، قناع بلون الساء، ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع.
13. جميل حمداوي، 2015، الاتجاهات السيميوطيعة، التيارات والمدارس السيميوطيعة في الثقافة الغربية، ط1.
14. محمد الداوي، 2009، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ط1، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع.
15. فريدة ساعي، 2025، سيميائية الأهواء في رواية الجزار لحسن الجندي، مجلة النص، بالعباس، المجلد 12، العدد 1.
16. سميحة صياد، 2020، السيميائية السردية ومشروع غريماس السيميائي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، الوادي، المجلد 12، العدد 3، 11/30.